فادي أبو خليل دائري القصائد*

فادي أبو خليل في مجموعته الأولى "غيوم طويلة / إنني أتذكر" [1] يختنق من الصمت والفراغات والنوم العميق، ويتألم من العيش في الدوائر، فالساعة دائرية، الطاولة دائرية، اللهاث دائري، العيون دائرية، الأمراض دائرية، الهواء دائري والنبرة دائرية. ورغم اختناقه من صمت الأشياء لا يشعر بالوحدة، بل يبتسم وإن كان لايعرف لماذا وأين؟

"لم أكن وحيداً
حتى الطاولة
أعطتني إبتسامتها" ص3

"أبتسم
لكرة بلا جهة" ص36

ينشد تغييراً ما، يريد حركة تهز الصمت، تكسر الدوائر وتسد الفراغات، يبحث عن طقس لهذه الحركة دون أن يسأل أو يجيب هل يتغير الطقس بدون حركة:

"مادام الطقس هو
لن يكون هناك حركة" ص12

ومعظم قصائد أبو خليل في طقس واحد من السردية والوصف واستحضار الصور الفوتوغرافية التي أراد أن يقلبها ليتذكر فعلاً:

"الرجل الجالس على ساقه
يتابع موسيقى قوية" ص57

"حركة السرير
النظرة نفسها على الوسادة
الدبابيس المبعثرة
ولاعتكِ
الدفاتر المحفوظة" ص20

"في الحديقة القليلة الأحلام
رجل يغمض بسلام
(....)
آخر كان قد عاش منذ ليلة" ص30

"ونركب سيارات جديدة نحو البحر" ص35

"الغسيل يلعب على الحبال في الغابة
(...)
على الطاولة البعيدة
تستريح أعصاب المكواة" ص45

"حيث يلقي عمال التنظيفات الآن
(...)
رسومك وكلماتك في سلة السماء المعلقة" ص70

"وقدماي لاتمشيان مثلك
حركتهما ليست متقطعة ولا متواصلة ولا متوترة" ص76

ويبدو لي أن روح الرسم قد سيطرت على فادي أبو خليل – وهو رسام وفي المجموعة بعض لوحاته – فكتب معظمها بلغة الرسم وحتى التصوير الفوتوغرافي ولم أجد من قصائده الست والعشرين سوى سبع خلت تماماً من مفردات تلك اللغة بينما سبع توجت عناوينها بذلك. وهي كالآتي:
"لقطة أخيرة" ص7 "الضوء أيضاً" ص20 "لونها المكان" ص21 "ثلاث كاميرات" ص40 "باب الفيلم ص42 "لحظة" ص74 "تمدد فراغات" ص79
ولم يكتف أبو خليل بالعناوين والمفردات، بل تعدى ذلك إلى التراكيب والصور حتى جعل بعضها على شكل "نيكاتيف":

"وعلى لوحة العازفين
يظهر معكوساً
ببذلة فنية" ص38

"فتح رجل الكواليس
باب الفيلم
كانت عظامه عارية" ص42

"نحيي أشكالاً ملونة
خلف زجاجاتنا العاكسة" ص34

ومن المفردات لدى قارئ أبو خليل في مجموعته الأولى مايعبر تماماً عن غلبة لغة الرسم والتصوير إذ يستخدم غير مرة مفردات مثل: المسافة (التي يرادفها البعد في اللوحة الفنية) ، الفراغ، الظل، اللون، الصباغ، التمدد، الزوايا، الضوء، الصورة، العدسة، الفلم. ولمرة واحدة مفردات مثل: اللوحة، الريشة، الفسحة، الأنحناءة، التوازي، ومصطلح الفاصل البصري. وهنا بعض المفردات من سياق الصور في القصائد وحيث عمق تأثير فني الرسم والتصوير على شعر أبو خليل:
"بماذا يلونون وراءهم بصباغ الأحذية" ص1 "الوردة الطويلة التي تدور في لونها" ص17 "إننا نتماسك بالألوان" ص18
"كسر في لون المكان حائط يبالغ في بياضه" ص28 "نمد ريشة من لونه" ص65 "أفرغ كوباً من صباغ الماء" ص67
"كصورة ملونة لأفواهنا" ص14 "الألوان التي تصنعها عيونهم الآن" ص71 "الضوء أيضاً خلف القماش يقيس وجهك" ص20
"أليس الفاصل البصري نفسه" ص73 "الذي خلط أنفاسهم وحركها إلى زوايا متباعدة" ص73 "كنت أسير في الصورة الضوئية" ص27 "هي حركات تمددت في الظل" ص72 "العدسة نائمة تحت الفتحة" ص36 "وبالحركة ذاتها تهدئ لونه" ص75
"العدسة تزوغ من قطرة" ص37 "وكلما زاوية لامست زاوية" ص78 "تظهر الأفلام على الوسادة" ص40 "الحبال المتوارية تضاعف ظلها في الخلف" ص83 "الصورة الفوتوغرافية التي تدخلها الشمس" ص82

فادي أبو خليل رسام، وربما مصور أيضاً، يشكو الصمت في مدن يسكنها "نائمون بلا دقات" وهو أراد تحذيرنا شعراً فلم تفلت من يده ريشته وألوانه التي تركت "الفكرة مخبأة" "في جوف الملابس الداخلية" و "على جدران صندوقة التنكر" بعد أن وعدنا بأنه "سوف يكتب قريباً" ص74

---

(1) غيوم طويلة / إنني أتذكر، شعر فادي أبو خليل، 85 صفحة، بيروت بدون ناشر

* جريدة النهار اللبنانية في 12 /1987/09